إبِـل : (بُدْن – بعير – جمل – ناقة)

obeikan.com

obeikan.com

يستعمل الناس اسم (إبل) بدلالته المعروفة على نوع من الحيوان ، دون أن يكون استعمالهم لهذا الاسم (إبل) مرتبطًا بدلالة أخرى لا علاقة لها بهذا الحيوان ، وبذلك لا يلتزم البشر في استعمالهم لاسم (إبل) بدلالةٍ ليست من معناه المعجمي ، أمّا القرآن الكريم فنجده يستعمل اسم (إبل) مع دلالةٍ تلازمه في كلا الموضعين الوارد فيهما اسم (إبل) على الرغم من أن هذه الدلالة ليست من معنى الاسم في المعجم .

فقد جاء اسم (إبل) في القرآن الكريم في موضعين ، ويشترك الموضعان في دلالات بعينها ، وذلك كما يلي :

الموضع الأول: الإنكار على المشركين لتحريمهم نوعًا من الإبل مع بيان كيفية خلق الإبل:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

ويلاحظ في هذا الموضع عدّة دلالات هي :

١- الردّ على المشركين ببيان كيفية خلق الإبل: فقد كان المشركون يحرمون على أنفسهم نوعًا من الأنعام تقربًا لما يعبدون من دون الله تعالى ، يقول ابن كثير: ((وهذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حَرّموا من الأنعام ، وجعلوها أجزاءً وأنواعًا ، بحيرة وسائبة ووصيلة وحامًا وغير ذلك))[1] وكان هذا التحريم يرتبط بنوع الإبل ذكرًا أو أنثى ، فالبحيرة هي التي يُمنع درعها للطواغيت ، أو الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن ، والسائبة إذا ولدت عشر إناث ، والوصيلة الناقة التي تلد أنثى بعد أنثى ، أما الحام فهو فحل الإبل إذا قضى عددًا من اللقاح أعفوه من الحِمل وادعوا أنه لآلهتهم[1] ، وهذا ما يذكره السياق في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٠٨/٣

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ١٢٦/٣

مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ ﴾ [الأنعام:١٣٦]، فالسياق يتوجّه في الخطاب إلى المشركين موضحًا لهم أن الله تعالى خلق الأنعام ذكرًا وأنثى وأحلّ الانتفاع بهما ، وأن ما يحرمونه من الأنعام تحريم لا أصل له ، وبذلك جاء الرد على المشركين ببيان خلق الله تعالى لنوعي الإبل الذكر والأنثى بغرض الانتفاع بهما على حدٍ سواء ، فجاء الرد مصحوبًا ببيان كيفية الخلق فالإبل يتكوّن من ذكر وأنثى ، ووجود نوعين للنفع المتنوّع وللتكاثر.

٢- توجيه الخطاب للمشركين : فالآيات تخاطب المشركين ، والسورة مكية تدحض عقيدة كانت سائدة عندهم .

٣- بطلان العبادة لفساد العقيدة : فالآيات تبيّن وجود عبادة وتشريع ، ولكنها عبادة مردودة لفساد العقيدة لأنها شرك بالله تعالى ، وهو وتشريع باطل لأن الله تعالى لم يحرم الانتفاع بنوع من الأنعام .

٤- وجود طعام ممنوع أكله على المشركين: إذ كانوا يحرمون على أنفسهم نوعًا من الإبل .

٥- ويلاحظ في الآية أسلوب الاستفهام: ﴿ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ ؟ وهو استفهام إنكاري يقصد به إنكار حالهم والتعجب منه ، يقول الزمخشري: ((الهمزة في "آذكرين" للإنكار))[٢] أي لم يحرم الله تعالى فيها شيئًا ، ويفهم من الاستفهام التعجب من تحريم المباح من عند أنفسهم .

الموضع الثاني : الإنكار على المشركين لعدم تفكّرهم في كيفية خلق الإبل : وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ ﴾ [الغاشية:١٧].

وجاء مع هذا الموضع عدة دلالات هي :

١- الرد على المشركين بتدبر كيفية خلق الإبل: فالمشركون قد صرفوا جزءًا من العبادة لمن لا يستحقها ، ولو أنهم تدبروا في عظمة الخلق لأدركوا أن الله وحده هو المستحق للعبادة تعظيمًا له دون غيره ، فجاء الإنكار عليهم لعدم تدبرهم في كيفية خلق الإبل ، ويقتضي النظر في كيفية خلق الإبل التأمل في تنوّعها إلى ذكر وأنثى وتنوّع

(٢) الزمخشري، الكشاف ، ١٣١/٢

منافعها ، وهى تشترك في ذلك مع آية سورة الأنعام – الموضع الأول لاسم (إبل) – في حديثها عن خلق الأنعام حمولة وفرشًا وخلق الإبل من زوجين ، وكأن إجابة سؤال سورة الغاشية ﴿ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴾ نجده في الموضع الأول في سورة الأنعام .

٢- توجيه الخطاب للمشركين: والسورة مكية أيضًا (كسورة الأنعام) تتوعد المشركين وتنكر عليهم ما هم فيه .

٣- بطلان العبادة لفساد العقيدة: إذ يلاحظ في أول سورة الغاشية أنها تتوعّد وجوهًا خاشعة عاملة ناصبة ، يقول تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ ﴾ [الغاشية : ١-٤]، وقد جاء في تفسيرها أنها للذين يجهدون أنفسهم في العبادة لغير الله تعالى ، يقول الألوسي: ((أي ظهر لهم يومئذ أنها كانت خاشعة عاملة ناصبة في الدنيا من غير نفع ، وأمّا قبل ذلك اليوم فكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً))[1] وعلى هذا المعنى فإن مِن الذين تحدّثت عنهم سورة الغاشية أولئك الذين تحدثت عنهم سورة الأنعام بأنهم جعلوا أنواعًا من الأنعام لغير الله تعالى .

٤- وجود طعام ممنوع أكله على المشركين: فيأتي الوعيد في سورة الغاشية لأهل النار بمنع الطعام الطيب عنهم ، يقول تعالى : ﴿ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧ ﴾ [الغاشية:٦-٧]، وهذا الضريع المعدّ لأهل النار طعام لا يأكله أهل الحجاز ، يقول ابن كثير: ((قال عكرمة : وهو شجرة لاطئة في الأرض ، وقال البخاري : قال مجاهد : الضريع نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس وهو سم))[2] وهو طعام تصفه الآيات بأنه لايسمن ولايغني من جوع ، فهو طعام لا نفع منه ، وهو بذلك يشبه ما قد حرمه المشركون على أنفسهم من الأنعام ، إذ لم يطعموا منها وحرموها على أنفسهم ، ولم يحصل لهم من تحريمهم هذا نفع ، فالموضع الأول في سورة الأنعام يتحدث عن عدم انتفاع المشركين من جزء من الأنعام حرموه على أنفسهم ، والموضع الثاني في سورة

---

[1] الألوسي ، روح المعاني ، ١١٣/٣٠

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٢٤٢/٨

الغاشية يذكر عدم انتفاعهم من طعام الضريع في الآخرة وقد كانوا لا يأكلونه في الدنيا .

٥- وقد جاء اسم (إبل) في سورة الغاشية في أسلوب الاستفهام الإنكاري ، فمعنى ﴿أفلا ينظرون﴾ كما يقول الزمخشري: ((أي لا ينظرون))[1] وهو الأسلوب نفسه الذي جاء مع اسم (إبل) في الموضع الأول في سورة الأنعام .

ففي كلا الموضعين نجد أن اسم (إبل) لازمته دلالة توجه الخطاب في السورة المكية لمشركي العرب الرافضين لرسالة محمد ﷺ، كما لازمته دلالة الطعام الممنوع أكله في الدنيا (وذلك لأنه طعام حرمه المشركون على أنفسهم في الدنيا ، أو لأنه طعام الضريع وهو شوك وسم) وهو طعام لاينفع المشركين في شيء ، كما لازم اسم (إبل) التعريف بأل ، وأسلوب الاستفهام الإنكاري الذي يراد به الإنكار عليهم مع التعجب من تحريمهم نوعًا من الخلق الواحد ، الذكر أو الأنثى ، وبهما يحدث خلق الإبل ، أو التعجب من كيفية صنع هذا الخلق الذي يتسبّبُ في بقائه أن جعل الله تعالى منه الذكر والأنثى ، فالموضعان يتحدثان عن كيفية الخلق .

ولم يستعمل العرب اسم (إبل) مقترنًا بهذه الدلالات ، ولم تذكر كتب المعاجم اقتران هذا الاسم الذي يدلّ على الحيوان المعروف بمثل هذه الدلالات، فالقرآن الكريم يستعمل الاسم استعمالاً خاصًا مع الحفاظ على دلالته المتعارف عليها عند البشر ، ولعلّ هناك مناسبة بين دلالة الجذر اللغوي لاسم (إبل) والدلالة الملازمة للاسم في استعمال القرآن الكريم له ، فاسم (إبل) قريب في اللفظ من الفعل (أبى) أي رفض ، ومن مادة اسم (إبل) يأتي الفعل (أبَل) وهو ما يقول عنه ابن منظور: ((أبل الرجل عن امرأته يأبل بالكسر امتنع عن غشيانها))[1] فالفعل المشتق من مادة الاسم يفيد معنى الامتناع والرفض ، وفى اللزوم الدلالي لاسم (إبل) في القرآن الكريم نجد دلالة رفض المشركين لدعوة الرسول ﷺ وامتناعهم عن اتباعه ، وهذه الدلالة (الامتناع والرفض) ليست موجودة في استعمال البشر لاسم (إبل) فهذا اللزوم الدلالي خاص بالقرآن الكريم في استعماله للاسم مع دلالة بينها وبين الجذر اللغوي للاسم مناسبة .

---

[1] الزمخشري ، الكشاف ، ٤ / ٥٨٤

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (أبل) ٥/١١

• بُدْن :

جاء اسم (بُدْن) في القرآن الكريم ، وهو جمع (بَدَنة) وكذلك جاء اسم (بَدَن) المفرد في القرآن الكريم ، ولازمت اسم (بُدْن) واسم (بَدَن) دلالات واحدة كما يلي:

أولاً: اسم (بُدْن) للهَدي الذي يساق للبيت الحرام :

جاء اسم (بُدن) في القرآن الكريم مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الحج:٣٦]، والبُدن اسم من أسماء الإبل ، والمراد به في الآية الهدي الذي يُنحر في مناسك الحج ، يقول ابن كثير: ((أمّا إطلاق البدنة على البعير فمتفق عليه، واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين ، أصحهما أن يطلق عليهما ذلك شرعا))[٢]

ويلاحظ في سياق اسم (بُدْن) وجود هذه الدلالات:

١ـ دلالة التعظيم : فالبُدن شعيرة من شعائر الله تعالى نَصّ السياق على تعظيمها يقول تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الحج: ٣٢-٣٣].

٢ـ ضخامة الجسد : فاسم (بُدن) مأخوذ من البَدن – بفتح الباء – وهو يدل على البدانة أي كثرة اللحم والضخامة، يقول الراغب: ((البَدن الجسد، لكن البَدن يُقال اعتبارًا بعظم الجثة))[١] ولعل ذلك يُناسب استعمال القرآن الكريم اسم (بُدن) كنوع من أنواع الهدي في مقام الحثّ على الإنفاق في سبيل الله تعالى ، فيُفضَّل ذبح ما

---

[٢] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٤٧/٥

[١] الراغب ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ٣٥

كثر لحمه (أي بَدن جسمه) إطعامًا للفقراء ، يقول ابن كثير: ((قال بعض السلف: إعظامها استحسانها واستسمانها))[٢]

٣- الانقياد لمكان مفارقة الحياة (النحر) : فمن شعائر الحج والعمرة تقليد الهدي بقلائد تمييزًا لها عن غيرها فلا تُنحر، بل تُساق للنحر عند البيت الحرام ، تعظيمًا لله تعالى وشكرًا له على نعمه وتعظيمًا لبيته الحرام ؛ فيُحمل الهدي (الإهداء) إليه ، يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾ [المائدة:٢]: ((لا تتركوا الإهداء إلى البيت الحرام ، فإن فيه تعظيم شعائر الله، ولا تتركوا تقليدها في أعناقها لتتميز بها عمّا عَداها))[٣] فإذا ما كان السفر قديمًا يحتاج للنحر، فلا ينحر الهدي ينحر الهدي في السفر قبل مكة ، فلفظ الهدي يحمل معنى الإهداء بحمل الهدي إلى المكان المُهدَى إليه.

٤- بقاء الجسد نفعًا للناس بعد نحره : فالإسلام دين الواقع لا الخيال ، فلا يظن أحدٌ أن تعظيم الهدي يلزم عدم أكله لأنه من شعائر الله تعالى ، ولذلك نبّهتْ الآيات على الانتفاع بالهدي قبل نحره وبعد نحره ، يقول تعالى: ﴿ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الحج:٣٣]، ويقول سبحانه : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج: ٣٦-٣٧]، فليس في عقيدة الإسلام تعظيم اللحوم أو الدماء لذاتها ، فمعنى أنها من شعائر الله أنها وسيلة لعبادة الله تعالى فتعظيمها تعظيمٌ لمعنى عبادة الله تعالى التي تؤدى بها ، لا تعظيم لذاتها .

---

[٢] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٦/٣

[٣] نفسه ، الصفحة نفسها.

ثانياً : اسم (بَدن) لفرعون بعدما ساقه الله تعالى لمكان حتفه :

وقد جاء في القرآن الكريم اسم (بَدن) مرة واحدة أيضاً ، والعجيب أنه جاء لجسد الإنسان بعد موته ، فهو كالحيوان لا يتميّز بما يتميّز به الإنسان من عقلٍ وكلامٍ، فإذا كان اسم (بُدْن) للحيوان فإن اسم (بَدَن) وهو من مادته اللغوية جاء في القرآن الكريم للإنسان بعد فقدان خاصته الإنسانية ، فمن جمال القرآن الكريم أنه استطاع تطويع اسم (بَدن) الدال على الإنسان ليكون دالاً على الجسد بعد انتفاء صفة الإنسانية أو أهم خصائصها فيقترب من دلالة اسم (بُدْن) على الحيوان .

وقد جاء اسم (بَدن) في قوله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيًا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢ ﴾ [يونس:٩٠-٩٢]، فاسم (بَدَن) هنا جاء لفرعون في تصوير هذا المشهد الذي يحكي لقارئ الآيات عن غرق فرعون وجنوده ، ويلاحظ في السياق عدّة دلالات :

١ـ دلالة التعظيم : وهي مرتبطة بفرعون ، فهذا البدن كان لمَلك مصر ، الذي كان يستعظم نفسه حتى ادّعى أنه رب الناس ، وأراد بناء صرح يصل به إلى السماء، والقرآن يصور ما كان فيه فرعون من عظمة في الملك واستعباد للخلق ، يقول تعالى في الآيات التي تسبق اسم (بَدن): ﴿ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٨٣ ﴾ [يونس:٨٣]، ويقول سبحانه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [يونس:٨٨]، ومن صور عظمته خروجه مع جنوده لاتباع موسى عليه السلام، فلابد لهذا الملك الطاغية أن يشعر بالعظمة وهو على رأس جيشه يلاحق قلّة مستضعفه وصفهم السياق بقوله

تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ [يونس:٨٣]، فقد كان فرعون مُعظّماً في قومه وهو ما يماثل دلالة التعظيم للبُدن لأنها من شعائر الله تعالى .

٢- ضخامة الجسد : ويرتبط اسم (بَدَن) في دلالته اللغوية في المعجم بضخامة الجسم ، يقول ابن منظور : ((بدن الإنسان : جسده ... وبَدَن الرجل – بالفتح – يَبْدُن بُدْناً وبدانة فهو بادِن إذا ضَخُم وكذلك بَدُن بالضم يَبْدُن بدانة، ورجل بدِن ومُبدّن وامرأة مبدّنة وهما السمينان ... والمُبدن : المُسِن))[1] ودلالة (بَدن) على ضخامة الجسد والسمنة وكذلك كبر السن مناسبة لحال فرعون ملك مصر، لما يغلب على مثل حاله في الثراء ضخامة الجسد ، كما يناسب ضخامة الجسد حال من أخرج جسده من الماء بعد الغرق ، وقد كان فرعون مسنًا ، إذ أمضى عُمُرًا مدّة تربية موسى عليه السلام في بيته ، يقول تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الشعراء :١٨] وخرج بعدها موسى عليه السلام مدّة عشر سنوات أمضاها مع شعيب عليه السلام ثم أرسله الله تعالى بعدها لفرعون ليعود إليه ثانية ، فهذه المدة الزمنية تفيد تقدّم فرعون في السن ، فهناك مناسبة بين دلالة اسم (بَدن) على ضخامة الجسم وكبر السن ، وحال فرعون ملكًا ومسنًا ، وغريقًا بعدها .

ووجود معنى الضخامة والسمنة في اسم (بَدَن) مماثل لوجوده مع اسم (بُدْن) اسماً للهدي ليكثر لحمه للفقراء ، وإذ كانت ضخامة الجسد إحدى معاني مادة (بدن) في المعجم فإن القرآن الكريم يوظف هذا المعنى ليكون دالاً على شيء آخر وليس مجرد الوصف كالمعجم ، فيأتي باسم (بَدَن) لتدل الضخامة على الثراء والسن والغرق ، ويأتي باسم (بُدْن) لتدل الضخامة على الحث على الإنفاق في سبيل الله تعالى ، فاللزوم الدلالي هنا ليس مجرد وصف الضخامة المرتبط بالاسم في المعجم ، لكن اللزوم الدلالي من توظيف القرآن الكريم لهذا الوصف لغرض دلالي آخر.

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بدن) ٣١/٤٨

٣- الانقياد لمكان مفارقة الحياة : ففرعون كان يسير بجنوده يتّبع موسى والمؤمنين معه ، وهو لا يدري أنه يسير وراءهم منقادًا لمكان حتفه ، ففرعون وجنوده ملتزمون بالطريق الذي يسير فيه المؤمنين ، فهم منقادون بحكم التتبع وراء المؤمنين ، فمثلهم كمثل الهدي الذي يُقاد إلى موضع نحره .

٤- بقاء الجسد نفعًا للناس بعد حتفه: لم يعلم فرعون أنه يُقاد لحتفه غرقًا ، ثم نجّي الله تعالى هذا الجسد من بقائه في الماء ليكون بعد مفارقته الحياة وخروج الروح منه آية للناس ، فالقرآن الكريم بيّن أن لنجاة هذا الجسد نفعًا للناس ، ((فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً)) يقول ابن كثير: ((قال مجاهد: بجسدك، وقال الحسن : بجسم لا روح فيه ، وقال عبد الله بن شداد : سويًا صحيحًا أي لم تمزّق ليحققوه ويعرفوه))[1] واللافت للنظر هنا أن الله تعالى استعمل لفظ (نُنَجِّيكَ) بدلالته على النجاة التي تقابل إهلاك فرعون بالغرق ، والآية قيّدت النجاة بأنها نجاة للبدن فقط ، لكن كان من الممكن استعمال لفظ نخرج بدنك ، أو نبقي على بدنك ، غير أن لفظ (نُنَجِّيكَ) تحمل دلالاتٍ أخرى مع دلالتها على خروج الجسد ، من هذه الدلالات سلامة الجسد من التلف ، فالنجاة تقتضي السلامة ، وكذلك إدراك أن أمر النجاة والإهلاك بيد الله تعالى فكما جاء الإهلاك جاءت النجاة وكلاهما من الله تعالى، وهناك أمر آخر راودني ، وهو أن فرعون دعا الله تعالى بغير حق ؛ فهدفه النجاة لا الإيمان فكانت الإجابة والجزاء من جنس الدعاء والعمل إذ أعطاه الله تعالى نجاةً بلا معنى بالنسبة له ، فكما كان إيمانه على غير حقيقة الإيمان كانت النجاة له على غير حقيقة النجاة ، فهي نجاة للبدن وليست كما يريد .

وأيًا ما كان الأمر كانت نجاة بَدن فرعون نفعًا للمؤمنين ، ففي مفارقته الحياة خير وعظة ، ورحمة من شره ، وعبرة لغيره ، وتلك الصورة تقارب صورة الهدي ففي نحرها خيرٌ للمؤمنين ، لينفع بَدَنُها (لحمها) المؤمنين بالطعام والثواب .

فاللزوم الدلالي لاسم (بُدن) جاء من استعمال اسم (بُدن) الجمع واسم (بَدن) المفرد في الدلالة على الحيوان أو ما يشبهه (لانعدام صفة الإنسانية) وكذلك جاء اللزوم الدلالي من دلالة التعظيم (مَلِك مصر- الهدي) ودلالة ضخامة الجسد وتوظيفها لأغراض دلالية أخرى (الثراء والسن والغرق – الحث على الإحسان) ودلالة الانقياد لموضع مفارقة الحياة (الغرق – النحر) ودلالة الانتفاع بالجسد بعد

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١٧٣/٤

مفارقة الحياة (لتكون لمن خلفك آية – الأكل من لحمه وإطعام الفقراء) فهذه الدلالات لازمت الاسم في استعمال القرآن الكريم له ، وميزته عن بقية أسماء الإبل .

• بعير:

جاء اسم (بعير) مرتين في القرآن الكريم ، وذلك في سورة واحدة هي سورة يوسف ، يقول تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥﴾ [يوسف:٦٥].

ويقول تعالى: ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢﴾ [يوسف:٧٢].

والبعير اسم من أسماء الإبل ، يقول ابن منظور: ((البعير الجمل البازل[1] وقيل الجذع ، وقد يكون للأنثى ، قال الجوهري: والبعير من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس ، يقال للجمل بعير وللناقة بعير))[2] وإذا كان البعير في اللغة اسم من أسماء الإبل فإنه جاء في القرآن الكريم مع دلالة حمل البعير للزاد ، فجاء في سياق يتحدث عن كيل الطعام وحمل البعير له ، ونقله من مصر إلى البلاد الأخرى .

ويؤكد هذا اللزوم الدلالي لاسم (بعير) وجود علاقة بين سياق سورة يوسف والجذر اللغوي لاسم (بعير) ، ويمكن ملاحظة هذه العلاقة فيما يلي:

١- **البعير ودلالة الزاد (الطعام)** : حيث يلاحظ أن اسم (بعير) يشتق من (بَعَر) التي يشتق منها اسم (بَعْر) وهويدل على تزوّد الإبل بالطعام ، يقول ابن منظور: ((البَعْر و البَعَر: رجيع الخُف والظّلف من الإبل والشاء وبقر الوحش والظباء))[3] والآيات التي جاء فيها اسم (بعير) في سورة يوسف تتحدث عن قدوم أخوة يوسف من أرض كنعان إلى مصر ليتزوّدوا من الطعام .

٢- **البعير ودلالة انتقال بني اسرائيل** : فمادة (بَعَر) التي منها اسم (بعير) قريبة من مادة (عَبَر) ومنها الفعل (عَبَر) الدال على الارتحال والتنقل ، وهو ما حدث من إخوة يوسف حيث كانوا ينقلون الزاد من مصر لبلادهم ، ثم انتقلوا إلى

---

[1] البازل : الذي أكمل السنة الثامنة وطلع نابه ، وهو معنى بَزَل الناب (لسان العرب ، مادة (بزل) ١١/٥٢ ، بتصرّف)

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بعر) ٤ /٧١

[3] نفسه، الصفحة نفسها.

مصر للعيش فيها ، وقد عاش إخوة يوسف في مصر، وذريتهم هم بنو إسرائيل الذين خرجوا مع موسى عليه السلام وعبروا النهر ، وسميت دولتهم ولغتهم بالعبرية ، فدلالة الانتقال موجودة في سياق السورة كما يدل عليها اسم (بعير)

٣- **البعير ودلالة تأويل الرؤيا:** وهناك صلة أخرى بين مادة (بعر) التي يشتق منها اسم (بعير) وأحداث قصة يوسف ، وهو أن معجزة يوسف عليه السلام كانت تعبير الرؤيا أي تأويلها ، وتسمية تأويل الرؤيا بتعبير الرؤيا هو ما جاء في السورة في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف:٤٣]، وهذا الفعل (تعبر) مشتق من مادة (عبر) القريب من مادة (بعر) التي اشتق منها اسم (بعير)

فاسم (بعير) جاء ملازمًا لدلالة حمل الزاد ، ودلالة التنقل والترحال ، ودلالة عبور بني إسرائيل وبقائهم في مصر ، ودلالة تعبير الرؤيا ، وذلك لأن هذه الدلالات بينها وبين مادة (بعر) مناسبة ، وإن لم تكن هذه الدلالات من معاني مشتقات هذه المادة ، فهي دلالات مصاحبة لاسم (بعير) في استعمال القرآن الكريم فقط ، فهذه المناسبة بين دلالات السياق ومادة الاسم ليست ثابتة في استعمال البشر للاسم ، وليست من معاني الاسم في المعجم ، فاسم (بعير) في اللغة كما تشرحه كتب المعاجم لا يدل إلا على الحيوان المعروف .

• جمل :

الجمل اسم من أسماء الإبل كالبعير ، يقول الراغب : ((والجمل يُقال للبعير إذا بزل [أكمل السنة الثامنة] وجمعه جِمال وأجمال وجِمالة))[1] وقد جاء هذا الاسم مرتين في القرآن الكريم ، يجمع بينهما اللزوم الدلالي الذي يظهر من دراسة كل موضع منهما كما يلي :

الموضع الأول : الجَمَل في وعيد المكذبين بمنعهم دخول الجنة : وهو في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف:٤٠]، ويلاحظ في السياق عدّة دلالات :

---

[1] الراغب ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ٧٦

١ـ وعيد للكفار: فالآية تتوعد الكفار بما أعده الله تعالى لهم من خلود في النار، إذ أنّهم ممنوعون من دخول الجنة كما يمتنع دخول الجمل في سم الخياط (ثقب الإبرة) يقول ابن كثير: ((وفسروه بأنه البعير... قال الحسن البصري: حتى يدخل البعير في خرق الإبرة))[1]

٢ـ وصف الكفار بالمكذبين المجرمين: فالآية تصفهم بالمكذبين والمتكبرين عن اتباع الحق كما تصفهم بالمجرمين.

٣ـ تحقير المكذبين والتهكم بهم : حيث جاء جزاء تكبر المكذبين عن اتباع الحق بنقيض تكبرهم بإذلالهم ، ففي قوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ﴾ دلالة على إذلالهم ، كما يقف سائل الحاجة عند الباب ثم يُرد بعد حين، كما يُلمح أسلوب التهكم من التشبيه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ﴾ إذ كان من الممكن أداء المعنى بالنفي دون تعليقه (ولا يدخلون الجنة) لكن جاء التعليق (حتى يلج الجمل في سمّ الخياط) ليفيد ـ مع التأكيد ـ التهكم والسخرية بهم ، وكأنّ المعنى : إذا أردتم دخول الجنة فلا بد أن يلج الجمل في ثقب الإبرة ، فلكم أيها الكفار أن تتخيلوا ذلك أو تفعلوه إن أردتم، وهو من باب السخرية والاستحالة ، فهناك فرق بين أن يقول القائل لمن يسأله حاجة: لا أعطيك ، وأن يقول: لا أعطيك حتى ترى شحمة أذنك ، بمعنى: أعطيك إن رأيت شحمة أذنك.

٤ـ ظهور صفة الضخامة للجمل: فعلّة عدم دخول الجمل في سمّ الخياط هي ضخامة الجمل ، فهو أكبر حجمًا من ثقب الأبرة .

٥ـ أسلوب التشبيه: إذ يفيد المعنى التشبيه ، فمعنى أنّ الكفار لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط ، أي: لا يدخلون الجنة كما لا يدخل الجمل في سمّ الخياط ، فهناك طرفان للتشبيه (عدم دخول الكفار الجنة ـ عدم دخول الجمل ثقب الإبرة) وإذا كانت علّة عدم دخول الجمل سمّ الخياط ضخامته ، فإن علّة عدم دخول الكفار الجنة كذبهم واستكبارهم ، والمكذب المتكبر يرى نفسه أكبر (أضخم) من الاعتراف بالحق واتّباعه ، فكبرت نفوسهم عن اتباع الحق كما كبر الجمل عن دخول سمّ الخياط .

---

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٤٣/٣

الموضع الثاني : الجَمَل في وعيد المكذبين بدخول النار:

وجاء هذا الموضع في قوله تعالى: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المرسلات: ٢٩-٣٤] في هذا الموضع نلاحظ وجود الدلالات الآتية:

١- وعيد الكفار: ففي هذا الموضع نجد الوعيد للكفار بعذابهم في النار ، إذ يتطاير عليهم الشرر من اللهب ، كأن الشرر جِمال تقذف عليهم .

٢- وصف الكفار بالمكذبين والمجرمين : فكما جاء وصف الكفار في الموضع الأول بالمكذبين والمجرمين جاء وصفهم في هذا الموضع ، فالآيات تصفهم بالمكذبين وتتوعدهم برؤية ما يكذبونه ، والسياق يصفهم بالمجرمين ، يقول تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المرسلات:١٨-١٩]، ويقول تعالى: ﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المرسلات:٤٦-٤٧].

٣- تحقير المكذبين والتهكم بهم : تظهر دلالة تحقير المكذبين في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المرسلات:٣٥-٣٦]، وهي صورة قريبة جدًا من صورة المكذبين في الموضع الأول في سورة الأعراف حيث لا تفتح لهم الأبواب ، أي لا يؤذن لهم ، والآيات هنا في سورة المرسلات تصرح بعد الإذن لهم (ولا يؤذن لهم) فدلالة الإذلال موجودة في كلا الموضعين، حيث يُتركون فلا تفتح لهم الأبواب ولا يؤذن لهم بالكلام .

ونجد مع دلالة التحقير دلالة التهكم بهؤلاء المكذبين ، إذ يُقال لهم (انطلقوا) وكأنهم أحرار ، ثم مرةً أخرى (انطلقوا) فهو أمر لهم بالانطلاق الذي من شأنه السرعة والإقدام ولكنه هنا انطلاق إلى جهنم ، فهذا الأمر في الحقيقة سخرية بهم ؛ إذ يُساقون إلى جهنم ، ولا يمكنهم أن ينطلقوا من أنفسهم إليها ، ثم يأتي التهكم

الثاني بأن يقال لهم انطلقوا إلى الظل! وأي برودة في هذا الظل وهو ظل اللهب ؟! ولذلك قال تعالى : (لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ) يقول الزمخشري عن هذه الآية: ((تهكم بهم وتعريض بأنّ ظلهم غير ظل المؤمنين))[1]

٤- ظهور صفة الضخامة للجمل: حيث جاء اسم (جمالة) تشبيهًا للشرر المشبه بالقصر لضخامته ، يقول الزمخشري: ((أي كل شررة كالقصر من القصور في عِظمها... شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه))[2] ولعل استعمال الجمع يؤكد معنى الضخامة ، فاسم (جِمَالة) جمع جَمل ، وفي قراءة (جمالات) جمع جِمال، ولايتعارض معنى الضخامة للجِمال مع قول الرازي: ((اعلم أنه تعالى شبه الشرر في العظم بالقصر ، وفي اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالجمالات الصفر))[3] إذ يأتي معنى الضخامة أيضًا من كثرة العدد والتتابع ، فهي ضخمة في عددها ، ضخمة في تتابعها ، ولا يمنع ذلك ضخامتها في الحجم كما هو حال القصر.

٥- أسلوب التشبيه: وأسلوب التشبيه ظاهر في هذا الموضع (كالقصر كأنه جماله صفر) حيث استعمل أداة التشبيه.

وبذلك نجد أن اسم (الجمل) لازمته دلالة وعيد الكفار بعذاب الآخرة ، ووصفهم بالمكذبين والمجرمين ، مع تحقير المكذبين والتهكم بهم ، وجاء أسلوب التشبيه الذي يعتمد على وصف الجمل بالضخامة.

ويلاحظ أن القرآن الكريم لم يستعمل في الموضعين السابقين (سورة الأعراف وسورة المرسلات) اسم (بُدن) مع أن التشبيه يعتمد على وصف الجمل بالضخامة أي البدانة ، وهو معنى موجود في اسم (بُدن) وهو ما يدل على أن القرآن الكريم مع مراعاته لمناسبة معنى الاسم للسياق ، فإنه يحافظ على اللزوم الدلالي لكل اسم ، فاسم (بُدن) جاء مع دلالة الانقياد لموضع مفارقة الحياة والتعظيم والانتفاع بالجسد بعد الموت ، وهى الدلالات الموجودة في الهدي الذي سُمى بالبُدن في سياق الحث على إطعام الفقراء من جسده الضخم ، أما اسم (الجمل) فعلى الرغم من وجود دلالة الضخامة في السياق إلا أنه جاء مع دلالة عذاب الكفار في النار ، وهو لزوم دلالي يميزه عن استعمال اسم (بُدن) ولذلك لم يأتِ اسم (بُدن) مع دلالته على الضخامة في

---

[1] الزمخشري ، الكشاف ، ٥٢٦/٤

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] الرازي ، التفسير الكبير، ٢٧٨/٣٠

موضع ﴿حتى يلج الجمل في سَمّ الخياط﴾ أو موضع ﴿كأنه جمالة صفر﴾ مراعاة للزوم الدلالي .

- **ناقة:**

جاء اسم (ناقة) في القرآن الكريم سبع مرات ، وفى جميعها كان الاسم دالاً على ناقة صالح عليه السلام المرسلة لهود ، وذلك في قوله تعالى : ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ﴾ [الأعراف:٧٣]، وفي المواضع الآتية (الأعراف: ٧٧ ، هود: ٦٤ ، الإسراء: ٥٩ ، الشعراء: ١٥٥، القمر: ٢٧ ، الشمس: ١٣) فلم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم إلا ويراد به ناقة صالح عليه السلام ، وهو ما يعدُّ لزومًا دلاليًا له .

ومما سبق نجد أن أسماء الإبل في القرآن الكريم جاءت مع لزوم دلالي لكل اسم يميزه عن غيره ، فجاء اسم (إبل) مع دلالة رفض المشركين لدعوة النبي ﷺ ودلالة الحديث عن كيفية خلق الإبل ، ووجود طعام يمتنع عنه المشركون ، ومع أسلوب الاستفهام الإنكاري والتعجب ، وجاء اسم (بُدن) مع دلالة الانقياد إلى مكان مفارقة الحياة ، والتعظيم ، وضخامة الجسد ، والانتفاع به بعد مفارقته للحياة ، وجاء اسم (بعير) مع دلالة الزاد والتنقل ، وتعبير الرؤيا ، والحديث عن بني إسرائيل (أخوة يوسف) وجاء اسم (جمل) مع دلالة وعيد الكفار بعذاب النار في الآخرة، ومع أسلوب التحقير والتهكم ، وأسلوب التشبيه الذي يعتمد على ضخامة الجمل ، وجاء اسم (ناقة) مع دلالته على ناقة صالح عليه السلام .

- **بدن : مع (إبل)**
- **بعير : مع (إبل)**

obeikan.com